عناصر البلاغة فى الأحاديث النبوية

عارف فريادي

الملخص

هذا البحث يبحث عن بلاغة النبي. وفى المقدمة كتب الباحث حول العناصير البلاغة وأمثالها. حيث قسم الباحث فى علم البلاغة على ثلاثة أقسام، وهي: المعاني والبيان والبديع. ثم بين الباحث من الأقسام السابقة مع أمثالها المتابعة. وهذه العناصير مهمة على تعلق الأحاديث النبوية بالبلاغة. لأن النبي يعرف بالنبي الفصيح لسانا، ويحتوي أقواله كثير من العناصير البلاغة البارعة.

رمى المشركون النبي بالشاعر لأنهم زعوا أن النبي الذي الّف القرآن، وفى لسانه قد يحتوي على بلاغة القرآن. أن النبي هو أديب وليس شاعر. والفرق بينهما: أن الأديب هو من يستطيع أن يعبر الكلام الذي يحتوي على عناصر البلاغية. وأما الشاعر وهو المبدع الشعر. والشعر هو الكلام الذي يحتوي على النظام والسجع. وفى أخر الباب كتب الباحث على الفروق الرئيسية بين العناصير البلاغة فى القرآن والحديث.

الكلمات الرئيسية : البلاغة، القرآن والحديث.

ABSTRAK

Penelitian ini membahas tentang kefasihan nabi dalam berbahasa. Pada bagian pendahuluan, peneliti menulis tentang bagian-bagian dari balaghah. Dimana peneliti membagi ilmu balaghah menjadi tiga bagian yaitu: ma'ani, bayan. Dan badi. Penelitian ini merupakan kelanjutan dari penelitian sebelumnya. Bagian ini sangat penting dalam mengaitkan hadis nabi dengan balaghah. Hal ini dikarenakan nabi terkenal sebagai nabi yang jujur, dan beliau sangat pandai dalam menggunakan bahasa yang indah.

Orang-orang musyrik menganggap bahwa nabi adalah seorang penyair, karena mereka berpendapat bahwa nabilah yang memiliki Al-Quran. Dan didalam perkataan beliau selalu berisi tentang keindahan bahasa al-Qur'an. Sesungguhnya nabi adalah seorang adib (budayawan/ seseorang yang beradab) dan bukanlah seorang penyair. Perbedaan diantara keduanya

adalah jika adib adalah seseorang yang mampu megekspresikan ukcapan yang mengandung balaghah. Dan penyair adalah seseorang yang ucapannya mengandung bait dan sajak. Pada bagian akhir, peneliti menulis tentang perbedaan utama antara komponen/bagian ilmu balaghah dalam Al-Qur'an dan Hadist.

Kata kunci: Balaghah, Al-Qur'an Hadist

الألف – المقدمة

كان النبي أفصح العرب لسانا وأجمله أدبا. ففصاحة النبي هي عناصر الرئيسية فى تبليغ الرسالة الإلهية على قومه. لأن العرب فى الجاهلية، قد بلغوا براعتهم الأدبية والبلاغية حتى أن الشعر الجاهلي كان يكتب بماء الذهب ويعلق في الكعبة من شدة الإعجاب والاعتزاز(الدود, 2009). وبلاغة النبي تكون مطلوبة على إضعاف الشعراء الجاهلية. وهذا الفصاحة أقره النبي: "عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله: أنا أفصح العرب بيد أني من قريش"(القاري،, د.ت)

من هذا الحديث، نعرف أن الرسول صلى الله عليه وسلم أفصح لسان من العرب فى ذلك العصر، مهما كثر الشعراء بلغة فصيحة وبعبارة صحيحة لكن الرسول أفاقهم بلاغيا وأفصحهم لسانا. وقال الرسول فى حديث أخرى، "أنا أفصح من نطق بالضاد".

وفى حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبينا أنا نائم رأيتني أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي(بخاري،, 2001) ". من هذا الحديث نعرف جميعا أن لغات النبي جمع بين الكلم العربية. الكلم هو اللهجات العربية. أختلف العرب على تعبير اللغة. منهم قال القاف بصورة همزة, ومنهم نطق الجيم بصورة (G). من إختلاف اللهجة العرب، الرسول يتكلم بعبارة اللهجات المختلفات حتى يعرف بعضهم بعضا.

النبي قد برع على الفصاحة اللسان، لأن النبي ولد فى بني هاشم، وألهمه بحسن الأخلاق من بني زهرة، ثم أرضعته إمراءة من بنى سعد بن بكر وهي سوبية الأسلامية، ثم ترعرع فى قبيلة قريش، ورافق عمه في تجارة حتى وصل إلى الشام، وتزوّج على نساء بني سعد وهي خديجة، ثم هاجر إلى المدينة ولقي قبيلة عوس وخزراج، وتابعه أصحابه من العرب ولغيره مثل الفرس والروم وبني إسرائي (مروة إبراهيم شعبان, د.ت, ص 61) .

وقال الجاحظ فى الكتاب "البيان والتبيين" من كلامه صلّى الله عليه وسلّم، وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد: وَما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ.

وسؤالنا الأن، ما العناصير البلاغة فى أحاديث النبوي؟ وما الفرق بين الحديث والقرآن فى بنية الكلمات؟ هل كان النبي أديبا؟(مروة إبراهيم شعبان, د.ت)

أ. هيكل النظري فى علم البلاغة

البلاغة لغة: من بلغ يبلغ بلوغا؛ أي كان أو صار فصيحا فهو البليغ. والبليغ من يبلغ بعبارت جيدة. وبلغ الثمر بلوغا: نضج. وبلغ الغلام: أدرك. وبلغ الشيء: وصل إليه . والمبلغ: حد الشيء ونهايته. واصطلاحا: هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة مفرداته، والمراد بالحال: الأمر الداعي للتكلم(بسيوني, b2010) . مثاله: إذا كان المخاطب خالي الذهن، فمطابقة الحال أن تلقي له الكلام من غير تأكيد؛ كقولك: "زيد قائم" وإن كان شاكا، فمطابقة الحال تأكيد الكلام؛ بأن تقول:"إن زيدا قائم."

وإن كان منكرا فيجب التأكيد بحسب الإنكار، فكلما زاد الإنكار زيد في التوكيد؛ كقوله تعالى:{إنا إليكم مرسلون}، فالتأكيد أولا بـ "إن" والجملة الإسمية، فلما

بالغوا في الإنكار بقولهم:{ما انتم إلا بشر مثلنا} زيد التأكيد بـ "اللام"، فقال سبحانه: {ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون}، فأكد بالقسم المشار إليه بـ "ربنا يعلم" و"اللام" واسمية الجملة.

1. مباحث تطبيقية في علم المعاني

والبلاغة تشمل الكلمة والمتكلم فقط.

أما بلاغةالمتكلم: فهي ملكة في النفس يقتدر بها على تأليف كلام بليغ.

والفصاحة أعم من البلاغة، فليس كل فصيح بليغا، ولا يكون البليغ إلا فصيحا.

2. مباحث تطبيقية في علم البيان

علم البيان علم البيان هو العلم اللغويّ البلاغيّ الذي يبحثُ عن إيصالِ المعنى الواحد، أو الفكرة بأكثرِ من أسلوب، وأيضاً يُعرفُ علم البيان بأنّه أسلوبٌ لتوضيح دلالةِ الكلمات من خلال فهم معانيها في سياق النّص(بسيوني, a2010).

ويُقسمُ علم البيان إلى أربعة أقسام، وهي: التّشبيه: هو إنشاء علاقة تَشابهٍ بين أمرين لِوجود صفاتٍ مُشتركة بينهما؛ أيّ مُشاركةُ كلمةٍ لغيرها في المعنى، وللتشبيه أربعة أركان وهي: المشبّه، والمشبّه به، وأداة التّشبيه، ووجه الشّبه. مثال: البنتُ كالزّهرةِ في جمالها، المشبّه هو البنت، والمشبّه به هو الزّهرة، وأداة التّشبيه هي الكاف، ووجه الشّبه هو الجمال.

وفي حالة التّشبيه يزيد أحد الطّرفين في وجه التّشبيه عن الآخر، ففي الجُملةِ السّابقة تزيد الزّهرة في جمالها عن البنت. للتّشبيه مجموعةٌ من الأنواع وهي:

I. **تشبيهٌ تام**: هو التّشبيه الذي يحتوي في تركيبه على كلّ أركان التّشبيه، مثل: البنتُ كالزّهرة في جمالها.

II. **تشبيهٌ مُؤكّد**: هو التّشبيه الذي حُذِف منه أداةُ التّشبيه، مثل: البنت زهرةٌ في جمالها. تشبيهٌ مُجمل: هو التّشبيه الذي حُذِف منه وجه الشّبه، مثل: البنت كالزّهرة.

III. **تشبيهٌ بَليغ**: هو التّشبيه الذي حُذِف منه أداة التّشبيه ووجه الشّبه، مثال: البنت زهرة. الاستعارة: هي تشبيهٌ حُذِف أحد طرفيه المشبّه أو المشبّه به، واللّذان يشترطُ وجودهما لِإتمام التّشبيه.

وعند غياب أحدهما تظهر الإستعارة، ومِن أهم أنواعها: الإستعارة المكنية هي التّركيب الذي حُذِف منه المشبّه به وذُكِرَ المشبّه، مثال: طار الخبر في المدينة؛ ففي هذه الجملة حُذف المشبّه به، وهو الطّائر الّذي شبّهنا الخبر به.

الاستعارةالتحقيقيّة: هي التّركيب الذي حُذِف منه المشبّه وكُتبَ المشبّه به، مثال: حارب الأسد بشجاعةٍ في المعركة، ففي هذه الجملة شبّهنا الإنسان بالأسد، ولكن لم يُذكر بل ذُكِرَ المشبّه به وهو الأسد.

الكناية: هي الأسلوب الذي يُستخدم عندما اللفظ أو الكتابة معنىً ظاهراً لجملة ولكن يُراد به معنىً آخر، وأيضاً تعرفُ الكنايّة بأنها لفظٌ يرادُ فيه معناه المخفي، من خلال استخدام معنى ظاهرٍ له، والكناية أنواع؛ وهي: كناية عن صفة: هي التّركيبُ الذي يُقصدُ فيه معنىً آخر لصفةٍ ما، مثال: أطلقَ أخي قدميّه للرّيح، فهذه الجُملة لا تعنيّ ربط القدمين بالرّيح؛ بل هي كنايةٌ عن السّرعة في الرّكض.

3. مباحث التطبيقية في علم البديع

وعلم البديع اصطلاحاً: هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام ، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة ، والمحسنات البديعية(بسيوني،, 2010):

أولاً : المحسنات المعنوية

I. الطباق : ويسمى المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ ، وهو على نوعين : طباق الايجاب وطباق السلب .

الاول : ما صرح فيه بإظهار الضدين ، أو هو ما اتفق فيه الضدان سلباً أو ايجاباً . ومن أمثلة طباق الايجاب قوله تعالى : (وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود) فالجمع بين الايقاظ والرقود.

II- المقابلة : قابل في اللغة : واجهه ، وقابل الشيء بالشيء : عارضه بمعنى ماثله, وأكثر ما تجيء المقابلة في الاضداد فاذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة وفي الاصطلاح (المقابلة هي أن تجمع بين شيئين متوافقين او اكثر ، وبين ضديهما) كقول المتنبي : أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي.

III- التورية :وتسمى الايهام والتوجيه والتخيير. التورية من الفعل ورّى مصدره تورية. وفي الاصطلاح (هي أن ياتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين : قريب ، وبعيد، فيذكر لفظاً يوهم القريب الى أن يجيء بقرينة يظهر بها أنّ مرده البعيد)

ومثال التورية قول القاضي عياض في صيفية باردة : كأن (كانون) أهدى من ملابسه لشهر (تموز) أنواعاً من الحُلأو الغزالة من طول المدى خرقت فما تفوق بين الجدْي والحمل.

IV- مراعاة النظير:

وسمى ائتلاف اللفظ مع اللفظ او الائتلاف او التناسب او التوفيق او المؤاخاة. وهو في الاصطلاح (أن يجمع في الكلام بين أمر ومل يناسبه لا بالتضاد) ومن مراعاة النظير قوله تعالى : (الشمس والقمر بحسبان) = الشمس والقمر.

V-الالتفات: وهو الاعتراض وهو الاستدراك. وقد عرفه ابن المعتز (هو اصراف المتكلم عن المخاطبة الى الاخبار وعن الاخبار الى المخاطبة) ومن الامثلة القرآنية : (حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة) (جرين بهم)

ثانياً : المحسنات اللفظية:

الجناس: هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى. وهو نوعان : تام : وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في اربعة أمور : نوع الحروف وعددها ، وهيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات ، وترتيبها. وغير تام : وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الامور الاربعة السابقة.

ب. **النبي أديبا وليس شاعرا**

من الأمور التى وقعت على لسان الجاهلين فى دعوة النبي، إنهم إتهموا أن النبي صلى الله عليه وسلم شاعر. فالقرآن لا يشبه الشعر الجاهلي من قريب ولا من بعيد، ولم يكن رسول الله يقول الشعر قبل البعثة ولا بعدها، ولم يكن يقيم وزن الشعر فى أحاديثه(الدود, 2009). وهذا متفقا لقول الله: "وما علمنا الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقراءن مبين" (سورة يس:69)

وكما فى الحديث رواه عائشة: قيل لعائشة: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيئ من الشعر؟ قالت: كان أبغض الحديث إليه. فقال له: "إني والله ما أنا بشاعر، ولا ينبغي لي"(إبن كثير, د.ت, ص 268).

رمى المشركون النبي بالشاعر لأنهم زعموا أن النبي الذي الّف القرآن، وفى لسانه قد يحتوي على البلاغة القرآن. والحقيقة، أن النبي هو أديب وليس شاعر. والفرق بينهما: أن الأديب هو من يستطيع أن يعبر الكلام الذي يحتوي على عناصير البلاغة. وأما الشاعر وهو المبدع الشعر. والشعر هو الكلام الذي يحتوي على النظام والسجع.

وبينهما فروق كبير. أن الله تعالى وصف الشعراء باتباع الغاوون. وهذا كما قال الله: "والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون" (سورة الشعراء: 224-226). ومن ذالك الأية نعرف أن الشاعر أحيانا يتبع أهواءهم وشهواتهم. كان بعض الشعراء الجاهليين أنشد شعرا على الهجاء، أو ذم لغيره. وبعضهم أنشد شعرا عن الغزل لأجل المراءة التى يحبه. وهذا مختلف تماما على النبي.

ولا يمكن أن نقول أن الرسول شاعر. وما ينبغي له بذلك. والرسول أديب، إذ فى لسانه أدب وجمالة اللفظ. قال دكتور محمد راتب النابلسي فى المجلة العلمية بتاريخ: 26 مايو 2002، من صفات النبي صلى الله عليه وسلم أنه أديب.("No Title", د.ت) وهذا موافق على قول الرسول صلى الله عليه وسلم: لقد طفت فى العرب وسمعت فصحاءهم، فما سمعت أفصح منك، فمن أدبك؟ فقال الرسول: "أدبني ربي فأحسن تأديبي"

أن النبي صلى الله عليه وسلم يكاد الأدب يكون عنوانا للإيمان، أنه أديب مع الله، والأدب مع الله عز وجل أن يصون معاملته، من أن يقول بكلام بليغ ودعوة فصيحة، وأن يعمل معاملة مع الله عز وجلى إلا خيرا. ومن هذه المعاملة يبعده من الخطاء، وأن يحرسه من الشهوات فى كلامه، وألا يتعلق قلبه عما سوى الله.

القلب يمتلئ بشيء واحد، فإذا امتلأ بالدنيا لم يبق مكان لمحبة الله، وإذا امتلأ القلب حباً لله أخرجت الدنيا من قلب المؤمن، لذلك أن يصون قلبه عن أن يلتفت إلى غير الله، وهذا من تمام الأدب مع الله. كما قال الله: مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ (سورة الأحزاب:4)

ومن هذه الأية واضح لنا أن اتهام العرب للنبي لا دليل أصلا. إذ الشعراء الجاهلون كانوا ينشدون بمتابعة قلوبهم وشهواتهم. وما النبي ينشد شعرا قط. وما النبي يتبع قلوبه إلا ساقه الله على البر والتقوى. وما موضوع الحديث إلا أن يحرس المؤمنين فى عبادة الله.

ت. **الفروق بين الحديث والقرآن:**

وهذا السؤال يمكن أن يطرح كثير منا. لأن القرآن والحديث كليهما من الرسول صلى الله عليه وسلم. وما الفرق الرئيسي بين عناصر البلاغة القرآن والحديث؟ هل هناك العناصر التساوي بينهما؟(بكر،, 1999) وهنا يستوجب البحث أن نذكر ما فرق به العلماء بين القرآن والحديث، ثم بين الحديث القدسي وغيره.

الباء– بين القرآن والحديث القدسي

كل منهما لفظ من عند الله، غير أن القرآن معجز حصل به التحدي، أي أن جبريل ينال على ما أمر الله تعالى من قوله. حتى حفظ النبي فى قلبه قبل أن يأمر أصحابه بالحفظ. ثم أمر النبي أصحابه على كتابة القرآن. وليس كذلك فى الحديث القدسي. أحيانا جاء الحديث القدسي بإلهام مباشرا من الله, وأحيانا من النوم. وقال مرارا فى أحاديثه: أريت الجنة وأريت النار. وكلمة "أريت" عبارة عن الرؤي الصالحة فى نوم رسول الله. وقد كان الكتاب يكتب بتوقيف من الله، ونقل إلينا بالتواتر حفظا وكتابة، وليس كذلك الحديث القدسي(الدين،, 1984). حديث القدسي لا يكون نقله إلا من راوي.

أما من جهة الكلمات، فرق القرآن بالمقطاعيات من السور وأما الحديث لا يفرق. وهذه المقطاعية تساعد للقارئ فى أخذ النفس بين كل سور. ومن الفرق بين الحديث والقرآن من جهة الكلمات، أن الأساليب البلاغية فى القرآن أكثر من الأساليب البلاغية فى الأحاديث النبوية. لا شك أن القرآن من الله، هو الخالق، أما الحديث من النبي، هو المخلوق. فبلاغة الحديث القدسي، مهما ألهمه الله أحيانا مباشر أو غير مباشر مثل من الحلم، لكنه أنطقه بشر بكلماته.

الجيم – بين القرآن والحديث النبوي

مع صفات القرآن السابقة تلقى النبي بالوحي الجلي, أي مباشرة عن جبريل عليه السلام "نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين" فكان يأتيه على صور مختلفة وبعلامات متميزة. أخبر عمر رضي الله عنه، أنه إذا نزل الوحي

على رسول الله صلى الله عليه وسلم،كان يسمع عنده وجهه كدوي النحل، وكما جاء أنه كان يأتيه مثل صلصلة الجرس(حجر،, 2010).

أما الحديث النبوي فلفظه لفظ الرسول، ومعناه من عند الله، ولذالك نسب الرسول الفصاحة إليه، فقال: أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش ونشاءت فى بني سعد بن بكر. وتعليله عليه السلام بأسباب تقويم اللسان على أعلى درجة فى العرب، وقال أيضا: "بعثت جوامع الكلم(محمد عبد الرحمن السخاوي،, د.ت) "، فيحمل على ما أتاه الله من حسان المعاني وكبارها، تجتمع له تحت اللفظة.

الدال – أسلوب بلاغة النبي وبلاغة القرآن

كما ذكر فى الصفحة السابقة، أن القرآن مختلف تمانا عن الحديث. فالقرآن كلام الله، أما الحديث كلام البشر. رغم اختلاف التعريف بينهما، وكيف الأساليب بينهما؟ هل فيه الإتحاد؟ أم بينهما الإختلاف؟

1. بلاغة النبي

تعتبر البلاغة النبوية المراتب العليا من البيان فى الأدب العربي، فقد قال أوس بن حبيب الضبي العالم بالأدب وإمام النحاة البصرة، ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله. ولكن هذه البلاغة تبقى فى حدود البيان الإنساني أو بلاغة البشر، ولا تصل كما نرى طبيعة الحال إلى درجة البيان القرآني الذى بلغ حد الإعجاز. وقد سئل الباقلاني بقوله: هل كلام النبي معجز؟ وأجاب بقوله: إن هناك فرقا بين القرآن وكلام النبي. وإن كان النبي افصح العرب، والفرق بينهما هو الفرق بين كلام الله وكلام البشر(أمين،, 2009).

فبلاغة النبي فى أعلى طبقات البلاغة الإنسانية، وبلاغة النبي بين إعجاز القرآن وبلاغة البلغاء، ويقول الأستاذ عباس محمود العقاد: "كان محمد صلى الله عليه وسلم فصيح اللغة، فصيح اللسان، وفصيح الأداء". نعم، كيف يمكن أن يكون نبيا إن لم يكن بليغا فى اللسان. إذ أن العلماء يحتاجون إلى فصاحة اللسان فى تعبير دعواتهم. أما النبي فقد يحتاج بالكثير البلاغة لسانه حتى يخرج الناس من الظلمات إلى النور بدعواته(عدنان زرزور،, د.ت, ص 235).

أما أمثال بلاغية كلام النبي وهي كما أتي:

أ. "اليد العليا خير من اليد السفلى(النووي،, د.ت) "

وفى هذا الحديث يحتوي على الكناية. والكناية هي أن يعبر المتكلم بمعان ظاهر ويراد بباطن المعنى. أن اليد العليا عبارة عن المعطى خير من يد السائل. وليس المعنى اليد الأعلى خير من السفلى أو يد طويل خير من يد قصير.

ب. "فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا(بخاري،, 2001) "

وفى هذا الحديث يحتوي على التشبيه. حيث شبه حرمة دماءكم على حرمة يوم عرفة وفى أرض الحرام. وإذا نظرت فى الجهة البيانية رأيته حسن المعرض بين الجملة، واضح التفصيل ظاهر الحدود، واسع الحيلة فى تصريفه بديع الإشارة. ولا نراه فى ادب البلغاء والشعراء.

وقال الرافعي، أن بلاغة النبي مبني على ثلاثة أمور:

أ. **الخلوص**: يكون فى اللغة والأسلوب، وأن النبي منفرد فيها جميعا لأن لم يكن فى العرب، ولن يكون فيمن بعدهم أبد الدهر من ينفذ فى اللغة وأسرارها وضعا وتركيبا.

ب. **القصد والإيجاز والإقتصار**: على ما هو من طبيعة المعنى فى ألفاظه، ومن طبيعة الألفاظ ومعانيها وطبيعة النفس فى حظها من الكلام من جهة اللفظية والمعنوية.

ج. **الإستيفاء**: هو الذي يخرج به الكلام مبسوط المعنى، وليس فيه إحالة أو إضراب.

2. فصاحة النبي

إن فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم من الموهوبة التي لا يتعلق بأسباب متعلقة، فإن الداعى يستطيع أن يعبر بكلام فصيح مهما لا يدرس على الدراسة الخاصة منها. وكيف النبي الداعى لجميع المخلوقات من الإنس والجن؟ إذن أن الفصاحة ليست إلا توفيقا من الله، وتوقيفا إذا ابتعثه للإنسان، وهو يقادون من ألسنتهم وله المقامات المشهورة فى البيان والفصاحة) رضى, د.ت, ص 27(.

وفصاحة النبي هي ملكة من ملكات الخلق والتكوين فى تعبير وتبليغ الرسالة الإلهية. فالرسول فى خلقه وتكوينه كان أصح الأنبياء مزاجا وأكملهم جسدا فكان فخما مفخما، يتلاءلاء وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر(بكر،, 1999).

ومن أمثال الأحاديث التى تحتوي بلاغة النبي:

1. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى الرسول فقال يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى؟ قال أمك ثم من؟ قال أمك قال ثم من؟ قال أمك قال ثم من؟ قال أبوك.

قوله: أمك" تكرار اللفظ ثلاث مرات يؤكد عظم منزلة الأم وأهميتها فى حياة الأنبياء، فيلزمهم أداء الواجب نحوها، إعترافا بجميلها. وقوله "ثم أبوك" إقترن الحرف ثم" الذي يدل على التراخي، ولم يقترب بكلمة أمك رغم تكرارها مما يوحى بمكانة الأم وأنها أسمى مكانة الأب فى قلوب الأبناء.

2. عن صفية بنت حيي رصي الله عنها قالت أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّ الشّيْطانَ يَجري مِن الإنسانِ مجْرى الدّمِ.

3. عن أبي سعيد الخذاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنّ الدُّنْيا حُلْوةٌ خَضِرَةٌ، وإنّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُم فيها، فَيَنْظُر كيْفَ تعْمَلونَ، فاتَّقوا الدُّنْيا واتّقوا النِّساءَ؛ فَإِنَّ أوّلَ فِتْنَةِ بَني إسْرائيلَ كانتْ في النِّساءِ

من هذين الحديثين عبر الرسول بعبارة تأكيد (إنّ) مهما لا يتردد الصحابة على قول الرسول. الشيطان يجري فى دام الناس حتى يشوش على قلوب المسلمين فى الصلاة وغيرها. الشيطان انسى المسلم فى كل صلاتهم حتى لا يعرف أنه يتوجه ربه. وهم مهملون على أفعالهم. لا يملك إلا الوسوسة، وكل إنسان له قرين من الجن وله ملك الملك يلهمه الخير والقرين من الجن يوسوس له وهو حر ليس لأحدهما عليه من سلطان هذه أول حقيقة، ثاني حقيقة الشيطان يقعد للإنسان طريقه المستقيم، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ سورة إبراهيم: 16

وأكد الرسول فى حديث ثاني أن الدنيا حلوة. حيث شبه الرسول الدنيا بحلوة. كثر من أغفله الدنيا حتى لا ينسى صلاته وزكاته. وقال الله تعالى " وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور". اغر الدنيا على عين الناس حتى تعلق قلبه عليها. وقال أيضا: اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ

أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (سورة الحديد: 20)

4. عن عكرمة بن خالد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم الرمضان.

أشار النبي من هذا الحديث بقول مجازي وهو فى الكلمة (بنى الإسلام). الإسلام لا يمكن أن يبنى. وكمالة الكلام هو بنى المسلم الإسلام فى قلبه على خمس خصال. أو يمكن أن نقول: بنى الله الإسلام فى قلب المسلم على خمس خصال. وخمس خصال هو: الشهادة، الصلاة والزكاة وصوم الرمضان والحج. عندما إكتمل خمس خصال على فعله، فقد بنى المسلم الإسلام فى قلبه.

5. عن أبي حمزة أنس بن مالكٍ رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

من هذا الحديث أشار النبي قوله بالغة البليغة, حيث قال النبي باللغة المعاني، "لا يؤمن المؤمن بإيمان تام". أسند كلمة فعل "يؤمن" على المؤمن. وليس الإسناد، إسنادا حقيقيا، بل مجازيا. وليس المعنى: "لا يصح أيمان مرء." إذ أن الإيمان يحتاج إلى الإتمام. وتمام الإيمان لا يمكن تحقيقه إلا أن يحب المؤمن إلى أخيه كما يحب لنفسه. وأكد الرسول بأسلوب تأكيد حيث قال: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشده بعضه بعضا.

ج. بلاغة القرآن وأساليبه

1. إتساع اللفظ مع المعنى، واتساع دلالتها،(الدد, 2005) وجمال وقعها فى السمع، تأمل قول الله تعالى: والليل إذا عسعس. والصبح إذا تنفس (سورة التكوير:

17-18). وفى هذه الأية، أن اللفظين (عسعس) معان فى الذهن السامع. لأن اللفظ الذي يتكرر يستفيد معنى تحرك. أي أن الصبح قد تحرك إلى النهار وطلع الشمس. مثلا فى الكلمة التكرار: (زمزم) أي الماء الذي يتحرك من الأدنى إلى الأعلى. اللفظل (دمدم) أيضا يفيد معنى تحركيا أي غذاب الله الذي دمدم على القوم السابقين. وأيضا لفظ (زلزل) فى القرآن (إذا زلزلة الأرض زلزالها) أي تحرك الأرض بزلزال.

وأقراء قول تعالى: (يأيها الذين أمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض). وفى لفظ "إثاقلتم" فى حروفها وترتيبها، وحركة التشديد على الحرف اللثوى (الثاء) والمد وبعده، ثم مجيء القاف الذي هو أحد حروف القلقلة، ثم التاء المهموسة، والميم التي تنطبق عليها الشفتان ويخرج صوتها من الأنف(سعدة،, 2009).

2. تنوعت الأساليب تبعا لتنوع الأحوال والمقامات، فقد بلغ القرآن قمة الإعجاز فى المساومة بين الموقف والأسلوب المعبر عنه، وفي ذلك يقول أبو هلال العسكري: وقد رأينا أن الله تعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الكلام مبسطا.

وأكثر الكلمات فى القرآن بين والتبشير والتحذير، وبين الوعيد والتهديد. ومثلا فى القرآن: (فأمامن أعطى واتقى. وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى. وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى. فسنيسره للعسرى)(القرآن الكريم) من هذه الأية وازن الله بين متقين ومنفقين أموالهم وجزاه الله يسرى فى حياتهم. وأما من بخيل ومتكبر فى الدنيا جزاه الله عسرى فى حياتهم. وهذا الأسلوب هو من أساليب علم البديع.

وأيضا فى قول تعالى: (فأما الإنسان ما بتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن. وأما إذا ماابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن.)(القرآن الكريم). وازن الله بين الإنسان الفقير والغنى. وأشار الله تعالى بلغة تساوية بينهما فى أخر الأية. ألا أن هذا من أساليب البلاغة, وهو أسلوب السجع(بسيوني،, 2010).

3. تنفرد القرآن الكريم بأسلوب مميز جمع مزايا الأساليب المعرفة عند العرب وهي (أسلوب المرسل–أسلوب المسجع– أسلوب الموزون المقفى). وقد يبدو النسق الأسلوبي فى بعض أية القرآن الكريم وسورة معتدا على السجع. ولكنه سجع فريد فى بابه. أي يمتاز بأنه يحقق الملاءمة بين لا ينكر، وذلك أن سجعاته متعانقة مع ما قبلها وحلاوة الوقع.

ومثلا فى قول تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه بطفة فى قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشاءنا خلقا أخر. فتبارك الله أحسن الخالقين). من هذه الأية نجد كثير من الأساليب السجع الذي عبر الله تعالى. والسجع هنا ليس مثل السجع الشعراء. نجده حلو فى اللسان وحلو فى الذهن السامع.

4. شيوع أسلوب التصوير البياني. التصوير هو الأداة المفضلة فى أسلوب القرآن. حيثما شاء أن يعبر عن معنى مجرد أو حالة نفسية أو صفة معنوية، أو نموذج إنساني. وكما فى قول تعالى: (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتعاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأت أكلها ضعفين فأن لم يصبها وابل

فطل.)(القرآن الكريم ,, ص 265). من هذه الأية نجد المعنى: أن الصدقات التى تنفق ابتغاء وجه الله كالجنة.

ث. **الحديث بين الموثوق والتبديل فى البلاغة والبيان**

لا شك كثير منا مشكك على وثيقة الحديث الذى مروي من لسان إلى لسان أخر. ولا سيم الحديث قد كتب بعد موت رسول الله. لأن الرسول فى أول الدعوة لا يحث لأصحابه على كتابته. وكيف يمكن أن نوثق على صحيحة الحديث الرسول؟ هل يمكن واحد من أصحابه مكذب عليه؟ هل كثير من الأحاديث النبوية بلغة اصحابه؟ وكيف يمكن أن نثق ما فى بلاغة الرسول وبيانه؟

النبي يشهد الواقع على صحّة كل ما تنبّأ به دون ما أخطاء، فذلك أمرٌ لا سبيل إلى معرفته أو الوصول إليه إلا بوحي من الله عزّ وجل، وهو ما جعل إخبار النبي –صلى الله عليه وسلم– عن الأحداث والوقائع التي كانت في حياته وبعد مماته وجهاً من وجوه الإعجاز .فقد أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– عن كثيرٍ من الغيوب فى الأحاديث التى يذكر فى السابقة.

المراجع

إبراهيم الدود، *الأدب فى صدر الإسلام*، القاهرة، المؤسسة الأزهر 2009

حمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، *الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى*، دار الأمانة مؤسسة الرسالة بيروت

إمام البخاري، *الصحيح البخاري*، حديث باب كتاب الإعتصام

كمال عز الدين، *الحديث النبوي الشريف من وجهة البلاغة*، القاهرة، دار إقراء.

مروة إبراهيم شعبان، *الرسالة الماجستر (الدراسة البلاغية)*. كلية اللغة والأدب الجامعة غزة، فلسطين

عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني، دراسة بلاغية، مؤسسة المختار فى النشر والتوزيع. 2010

عبد الفتاح بسيوني، *علم البيان، دراسة بلاغية*، مؤسسة المختار فى النشر والتوزيع. 2010

عبد الفتاح بسيوني، علم البديع، دراسة بلاغية، مؤسسة المختار فى النشر والتوزيع. 2010

إبراهيم الدود، *الأدب فى صدر الإسلام*، القاهرة، المؤسسة الأزهر 2009

ابن كثير، *التفسير ابن كثير*، وأرده السيوطي فى الكتاب الدراج.

محمد عبد العظيم الزرقاني، مهان العرفان في علوم القرآن، بيروت: دار الفكر. 1999

كمال عز الدين، *الحديث النبوي الشريف من جهة البلاغة*، مكتبة دار إقراء القاهرة، 1984.

إمام إبن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المكتبة التوفيقية القاهرة، ط.2010

محمد عبد الرحمن السخاوي، المقاصد الحسنة فى بيان من الأحاديث المشهورة، .pdf دون الناشر

أحمد أمين، *فجر الإسلام*، ط.10، دار الكتاب العربي، بيروت، 2009

عدنان زرزور، *بلاغة النبي*، بحث منشور فى مجلد مركز البحوث الستة والسيرة، العدد 5.

إمام أبو زكريا يحي النووي، "رياض الصالحين" القاهرة: المكتبة العصرية

إمام بخاري، "الصحيح البخاري" كتاب الفتن رقم:1

مصطفى صادق الرافعي، "ديوان الرافعي" دار الكتاب العربي، بيروت ط.2. 2001.

شريف رضى، "مجازات النبوة pdf" منشورات، مكتبة بصيرتي، قم. دون السنة طباعة.

أبي عبد الله الزبير بن بكر، "الأخبار الموفقيات" عالم الكتب 1999

إبراهيم الدد، *أداب صدر الإسلام*، القاهرة، مؤسسة الأزهر الشريف س. 2007

شفيق عبد الرزاق أبو سعدة، *قطاف من ثمار الأدب فى صدر الإسلام*، القاهرة، مؤسسة الأزهر 2009

عبد الفتاح بسيوني، *علم البديع، دراسة بلاغية*، مؤسسة المختار فى النشر والتوزيع. 2010

http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=8153&id=175&sid=176&ssid=177&sssid=178